

نشرة

تموز 2026 – العدد 38

أصدقاء الأب كافاريل

المحتوى

- 3 إفتتاحية
مرسيدس غوميز-فيرير وألبرتو بيريز
- 6 مستجدّات أصدقاء الأب كافاريل
موقع إنترنت جديد
- 7 آخر مستجدّات دعوى التطويب
المكّرم هنري كافاريل، حالة الضرورة الملّحة
الأب بول-دومينيك ماركوفيتس، نائب وكيل دعوى التقديس في روما
- 9 شهادة عن نَعَم مُستجابة
فرنشيسكو هيّريرا مورييلاس
- 10 أرشيف الأب كافاريل
من أنت يا فرنسيس؟ وماذا لديك لتقوله لنا؟
- 25 صلاة من أجل تطويب الأب كافاريل
- 26 أعضاء الشرف
- 27 استمارة تجديد العضوية

ستجدون في نهاية هذا العدد استمارة تتيح لكم تجديد عضويتكم
لعام 2026، إذا لم تكونوا قد قمتم بذلك بعد.
ويمكنكم أن تكتبوا على ظهر هذه الاستمارة أسماء أصدقاء
ترغبون في أن نرسل إليهم طلب انضمام.

الافتتاحية

بقلم مرسيدس غوميز-فيرير وأليبرتو بيريز
الزوجان المسؤولين الدوليان عن فرق السيّدة



عائلة "جمعيّة أصدقاء الأب كافاريل" العزيزة،

هذه هي رسالتنا الأولى منذ تلقينا خبر إعلان الأب هنري كافاريل مكرّمًا في الثالث والعشرين من آذار الماضي. وقد تناقلت الصحافة ووسائل الإعلام الكاثوليكية ووسائل الإعلام الدولية العامة، هذا الخبر فور صدوره، مسلّطة الضوء على دور الأب هنري كافاريل في إغناء تفكير الكنيسة حول سرّ الزواج والروحانيّة الزوجيّة. لكن ماذا يعني هذا بالنسبة إلينا؟ إنّ الأشخاص الذين تُوجّه إليهم هذه النشرة مقتنعون أصلًا بأهميّته. أما ما نطلبه منكم، فهو أن تُعرّفوا به كلّ من لا يزال يجهله، أو يشعر تجاهه ببعض التحفظ.

هذا ما دفعنا إلى التأمّل في شخصيّة الأب هنري كافاريل بصفته مؤسس حركة — فرق السيّدة — التي تجمّعنا كلّنا. فانسحابه، وهو لا يزال على قيد الحياة، في حين أنّ المعتاد أن يبقى المؤسسون على رأس حركاتهم حتّى نهاية حياتهم، قد دفعنا إلى النظر في جوانب عديدة يمكن أن تساعدنا على فهمه بشكل أفضل.

في عام 1973، أدرك الأب هنري كافاريل أنّه بعد بلوغه سنّ السبعين، وقضائه 35 عامًا في صفوف الفِرَق — أي ما يعادل نصف حياته —، كان عليه أن يتنحّى عن قيادتها. وأكّد أنّ التنحّي عن مهمّته لا يعني أبدًا التخلّي عن الحركة التي يحملها في قلبه؛ وقد انسحب منها بسلام وسكينة، بعد فترة انتقاليّة تحضّر خلالها خلفاؤه لتولّي المسؤوليّة.¹ لقد غادرها مع نيّة صادقة في مواصلة الصلاة من أجلها، مقدّمًا لها العون على طريقة موسى الذي كان يصليّ على الجبل فاتحًا ذراعيه نحو الله، إيمانًا منه بأهميّة الصلاة التي لا بديل عنها.² فلو كانت فرق السيّدة مجرد عمل شخصي، لما استمرّت؛ ولكن كونها عملاً من الروح القدس

¹ محاضرة الأب هنري كافاريل لمسؤولي القطاعات، 25 آذار 1973.

² هنري كافاريل، "إلى الله (À Dieu)"، افتتاحيّة رسالة فرق السيّدة، أيار-حزيران 1973

ومزودة بموهبة (Charisme) محدّدة أُهديت للكنيسة، فقد كُتب لها البقاء. وما زلنا ههنا، نسعى لنكون أمناء لهذا الحدس التأسيسي الذي قدّم هذه الموهبة للكنيسة، بفضله وبفضل الأزواج الأوائل الذين طلبوا معونته، رغبةً منهم في تعميق وعيش نعمة سرّ الزواج. إنّ الموهبة (Charisme) هي هبة من الله يلهم بها الروح القدس شخصًا أو مجموعة من الأشخاص للاستجابة لحاجة تُظهر محبة الله في لحظة تاريخية معينة. وهبة الله لا يمكن التلاعب بها؛ فالهدية أو الهبة يجب أن تُقبل بامتنان، وأن تُحترم، وتُعمّق، ويُشارك بها الآخرون. لقد تلّقت حركتنا موهبة من الروح القدس: وهي الإعلان عن أنّ الحبّ الزوجيّ هو طريق للزوجين نحو الله، وأنّ هذا الطريق — بنعمة الله وبالمسير جنبًا إلى جنب مع أزواج آخرين — سيكون أسهل بفضل الدعم والمساعدة المتبادلة. وإن نموّ الفرق وانتشارها في العالم لهُوَ خير دليل على خصوبة هذه الموهبة.

نُقدّر الثقة التي منحها الأب هنري كافاريل للفريق الذي خلفه على رأس الحركة. ونُقدّر الحكمة التي تقول بضرورة التناوب، ووجوب إفساح المجال لآخرين ليأتوا بما هو جديد، وبألا يستقرّ أحد في مسؤوليّة ما، وبأنّنا جميعًا نعود، بعد فترة من الزمن، إلى فرقتنا الأساسيّة لمواصلة حياتنا الجماعيّة، بعد أن نكون قد أتممنا خدمتنا. وهذا الحسّ بالمسؤوليّة المشتركة والعمل الجماعيّ هو أساس عمل حركتنا. وقد ذكرنا بأهميّة الصلاة: فالشخص الذي ينسحب من خدمة ما لا يفعل ذلك وهو مُنهك ومُستنفذ لأنّه أعطى جزءًا من حياته للآخرين؛ بل عليه أن ينسحب مع الالتزام بمواصلة الصلاة من أجل من سيخلفونه، ومواصلة الطلب من الروح القدس أن ينير تمييزهم وخدمتهم.

لم يكن الأب هنري كافاريل يتصرّف انطلاقًا من قدرة شخصيّة، بل كان يدرك حضور الله والروح القدس الذي كان يعمل من خلاله، مقتنعًا بأنّ كل حياة صادقة تنشأ من الاتّحاد بالله؛ ولهذا كان يُلحّ مرارًا وتكرارًا على قوّة الصلاة. وبالطاعة والتواضع والاستعداد، تلقّى الأب هنري كافاريل هذه العطية التي أحسن نقلها إلى الكنيسة. وإذا كنّا نعتبر الأب هنري كافاريل نبياّ للزواج، فذلك لأنّه قادنا إلى الشركة مع الله، ولم يكن ذلك يومًا انطلاقًا من أي إحساس بالتفوّق على الآخرين.

فالنبيّ الحقيقيّ يُعيد القلوب إلى الآب. نريد أن نشكره على الحُدى التأسيسيّ، وعلى صدق رسالته، وعلى الثقة التي وضعها في كل واحد منّا، وعلى صلّاته الدائمة من أجل الجميع، وعلى كل ما نتعلّمه من هذه المواقف التي تنعكس على حياتنا في فرقنا الأساسيّة. شكراً لكم على تشفّعكم المستمرّ من أجل فرق السيّدة. نُعانيّكم في شركة صلاة.

مرسيدس غوميز-فيرير وألبرتو بيريز
المسؤولان الدوليّان، فرق السيّدة،
فالنسيا، في 18 حزيران 2026

مستجدّات أصدقاء الأب كافاريل موقع إنترنت جديد



نسخة جديدة من الموقع الإلكترونيّ لجمعية أصدقاء الأب كافاريل هي قيد الإنجاز النهائيّ. وسيبقى الموقع، كما كان، متاحاً بخمس لغات (الفرنسيّة والإسبانيّة والبرتغاليّة والإنجليزيّة والإيطاليّة)، وهدفه إبراز عمل الأب هنري كافاريل وكتابات بأفضل شكل. وقد جُمعت الكتابات ووُرّعت على سبعة محاور رئيسيّة من فكره: الصلاة القلبيّة، ومريم العذراء، وسرّ الزواج، والروحانيّة الزوجيّة، والترمل، والكاهن والأسرة، ورسالة الزوجين. وسيقدّم الموقع، مع تقدّم إنجازهِ، مجموعة من النصوص الرقميّة للأب هنري كافاريل باللغات الخمس، إضافة إلى بعض الفيديوهات عبر قناة اليوتيوب الخاصّة بأصدقاء الأب كافاريل. وفي الوقت الذي تمّت فيه خطوة حاسمة تمثّلت في الاعتراف بالفضائل البطوليّة لهنري كافاريل ومنحه لقب "المكرّم"، يبقى الموقع أداةً في خدمة دعوى التطويب والتقدّيس، ووسيلة تواصل بين جميع الفاعلين في هذه الدعوى، وبخاصّة مراسلي الجمعية في مختلف أنحاء العالم.

أصدقاء الأب كافاريل

آخر مستجدّات دعوى تطويب الأب كافاريل

بقلم الأب بول-دومينيك ماركوفيتس،
نائب وكيل دعوى التقديس في روما



المكرم هنري كافاريل، حالة الضرورة الملحة

بدأ كل شيء عام 2006، أي بعد عشر سنوات من وفاته، بفتح دعوى التطويب والتقديس من قبل رئيس أساقفة باريس. وانطلق الجميع في العمل: بدأت التحقيقات الأبرشيّة، جمع الأرشيف، والاستماع إلى شهادات كثيرين ممّن عرفوه وعاشوه. كتبت اللجنة التاريخيّة سيرة حياته مفصّلة، سنة بعد سنة، بينما فحصت اللجنة اللاهوتيّة كتاباته العديدة للتأكّد من أمانته لتعليم الكنيسة: كل هذا أسفر عن خمسة صناديق، تحتوي على ملف من 5500 صفحة، نُقلت إلى روما. وأعلنت دائرة دعاوى القديسين أنّ التحقيق مطابق لمعايير الكنيسة. وكان ذلك عام 2015. ثم كُتبت الـ (Positio) "الوثيقة الرسميّة التي تعرض على الفاتيكان في دعاوى التقديس"، وهي نص مؤلّف من 900 صفحة أُعدّت استنادًا إلى التحقيق الأبرشيّ، يعرض حياة الأب كافاريل الحافلة بالأعمال خدمةً للرّبّ وكنيستّه، وممارسته البطوليّة للفضائل. وقد أُودع لدى الدائرة في حزيران 2022. وفي 23 آذار 2026، وقّع البابا لاون الرابع عشر المرسوم الذي يُعلن خادم الله هنري كافاريل مكرّمًا. هكذا انتهى الفصل الأول. لقد أتمّت الكنيسة عملها على هذه الأرض! والله أن يُصادق على ذلك!

اليوم يبدأ إذاً الفصل الثاني، وهو توقيع الله، أي المعجزة. فالمعجزة – شفاء جسديّ، فوريّ، نهائيّ، وغير قابل للتفسير العلميّ، يتم بشفاعته الأب كافاريل – هي ختم الله الذي يؤكّد رغبة الكنيسة في إعلانه طوباويًا. ما الهدف الذي نريد بلوغه؟ إنّ هدف فرق السيّدة هو التقدّم، عبر سرّ الزواج، في طريق القداسة: فالحبّ الإنسانيّ، كما يُعاش بين كلّ زوجين، يسكنه حبّ الله. ونعمة الزواج تُنقي، شيئًا فشيئًا، الحبّ الإنسانيّ وتُصلّحه فيزدهر، وتفتح قلبيّ الزوجين أحدهما على الآخر، وعلى الأولاد الذين يهبهم الله، وعلى الأزواج الآخرين، وعلى العالم. فيأتي التعاضد داخل الفرق ليحقّقنا على بلوغ ذلك.

نحن، كهنةً وأزواجًا، تلقينا دعوة الحبّ. بين أيدينا كنز: لا يمكننا أن نتصرّف بأنانيّة ونحتفظ لأنفسنا برسالة الأب كافاريل المضيئة حول الزواج والصلاة القلبية. فهدف تطويبه هو إذا: أن يكتشف أكبر عدد ممكن من الرجال والنساء، من خلاله، محبة الله وحضوره في صميم الحبّ الإنسانيّ. لقد أتمّ الأب هنري كافاريل رسالته على الأرض، وأصبحنا من الآن فصاعدًا حَمَلَةَ الرسالة.

الأمر مُلِحّ. صلّوا، صلّوا، واطلبوا من الله معجزة. هذا يعني أن نطلب من الله أن يُعلن محبته من خلال شخص خادمه، الأب كافاريل.

ونحن لا نشكّ أنّ المعجزة ستأتي. فالكثيرون أصلًا ينالون نعمًا بشفاعته. ومن هذا المنطلق، سيستجيب الله لأبنائه الذين لا يكفّون عن الطلب بالباح!

الأمر مُلِحّ، ورسالتنا أساسيّة: أن يكتشف الذين يحبّون بعضهم، أكثر فأكثر عظمة سرّ الزواج، وفرح الحبّ، وهم مغمورون بحبّ الله الأبديّ.

الأب بول-دومينيك ماركوفيتس،
نائب وكيل دعوى التقديس في روما

شفاعة الأب كافاريل

شهادة عن نِعَم مُسْتَجَابَة

مع هذه الشهادة التي أرسلها لنا من إسبانيا صديقنا فرانسيسكو وزوجته، نتابع هذه الزاوية الجديدة في النشرة. لا تترددوا في إرسال شهادتكم عن النِعَم التي نلتموها بشفاعة الأب كافاريل.



اسمي فرانسيسكو هيريرا مورييَّاس. ننتمي أنا وزوجتي إلى فرق السيِّدة منذ عام 2009، وهو العام الذي انضممنا فيه إلى فريق خيريث 47. وأردت أن أشارككم شهادتي الشخصية عن النعمة التي نلتها بشفاعة الأب هنري كافاريل.

في كانون الأول 2023، أصبت بمرض خطير وتمّ تشخيص إصابتي بسرطان القولون المنتشر في المرحلة الرابعة، ممّا يُنذر بالسوء على المدى القريب. ومنذ البداية، لجأ الأزواج في فرقتي وفي الفرق الأخرى، وكذلك فريق المتشفّعين، إلى شفاعة الأب هنري كافاريل، وكانوا يصلّون بثبات كبير من أجل تطويبه طوال هذه الفترة.

ولعدم أهليّتي للجراحة، اقترح عليّ طبيب الأورام الخضوع للعلاج الكيميائيّ لمعاينة استجابة الورم. ومنذ البداية، لوحظت استجابة إيجابية جدًّا، ومفاجئة، وغير معتادة للعلاج. وفي كانون الأول 2024، أخبرني الطبيب أنّ الورم المنتشر قد تقلّص بما يكفي للسماح بإجراء عمليّة جراحية. وبعد عمليّتين جراحيتين - في شباط وحزيران الماضيين - وحوالي ثلاثين جلسة من العلاج الكيميائيّ والفحوصات الطبيّة المعتادة، أعلن لي طبيب الأورام أنّني ظاهريًّا في حالة شفاء تامّ، وأنّني لم أعد بحاجة إلى علاج.

أنا مقتنع بأنّ شفاعة الأب هنري كافاريل لعبت دورًا حاسمًا في وضعي الحاليّ، وهذا ما يشجعني على مشاركة شهادتي، على أمل أن تكون مفيدة.

أبقى رهن خدمتكم، وأحييكم بسلام المسيح القائم من الموت.

فرانسيسكو هيريرا مورييَّاس

كنز الجمعية أرشيف الأب كافاريل

كتيب فرق السيّدة، 1976،
الصفحات من 47 إلى 67.



من أنت يا فرنسيس؟ وماذا لديك لتقوله لنا؟

محاضرة ألقاها الأب هنري كافاريل في أسيزي خلال حج فرق السيّدة عام 1976.
وفي كانون الثاني من هذا العام 2026، تمّ افتتاح السنة اليوبيليّة بمناسبة مرور 800 سنة على وفاة
القديس فرنسيس الأسيزي في 4 تشرين الأول 1226.

أودّ أولاً أن أزيل سوء فهم محتمل. فقد كتب إليّ أحدكم قائلاً: "إننا متفاجئون من نيّتكم الحديث معنا عن فرنسيس الأسيزي: الا يشير ذلك من جانبكم الى الخيبة والفتور تجاه الزواج وتجاه فرق السيّدة؟" أودّ أن أوّكد بشدّة أنّ الأمر ليس كذلك على الإطلاق. إن اختيار هذا الموضوع ينبع من قناعتي الراسخة بأنّ المسيح، من خلال فرنسيس، قد قدّم في مطلع القرن الثالث عشر رسالة ذات أهميّة بالغة، وأنّ هذه الرسالة لم تفقد شيئاً من أهميّتها بل إنها على العكس تزداد أهمية مع أواخر القرن العشرين، و ينبغي على الأجيال الناشئة أن توليها اهتماماً خاصاً.

علاوةً على ذلك، فإنّ هذه الرسالة تعني الأزواج المسيحيّين. ونكتشف ذلك مع أوّل زوجين استقبلهما فرنسيس في رهبانيّته الثالثة. لوكيزيو وبوونا دونّا، قبل أن يلتقيا بفرنسيس، كانا منخرطين في مضاربات تجارية مشكوك فيها. وبعد أن اهتديا على يد "الفقير الصغير"، كرّسا منذ ذلك الحين ثروتهما وحياتهما لخدمة المحتاجين. وهذا ما يرويه لنا التاريخ عن لحظتهما الأخيرة: لقد سمح الله لهذين اللّذين كانا واحداً في الحياة ألا يفترقا في الموت. فعندما مرضت بوونا دونّا في نيسان 1250، تأثّر لوكيزيو بذلك لدرجة أنّ المرض الذي كان يعاني منه تفاقم فجأة. ظلّ واقفاً على قدميه ليساعد زوجته على نيل الأسرار الأخيرة؛ ثم أمسك بيدها قائلاً: "يا رفيقة دربي العزيزة، بما أنّنا أحببنا بعضنا دائماً هنا على الأرض، فلماذا لا ننطلق معاً إلى الوطن الأبديّ؟ انتظريني قليلاً أرجوكم." ثم عاد إلى فراشه، واستدعى الأب هيلدبراند صديقه الذي

منحه سرّ مسحة المرضى؛ وعندما رأى أن بوونا دونًا قد فاضت روحها، رسم إشارة الصليب، ونطق للمرة الأخيرة باسمي العذراء مريم والقديس فرنسيس، وأسلم روحه إلى الله.

لذلك، أودّ أن أعرفكم على رسالة القديس فرنسيس. ولكن انتبهوا جيّدًا لما يلي: ففي حين تتجسّد رسالة معظم القديسين الآخرين تتجسّد في تعليم أو روحانيّة معيّنة، فإنّ رسالة فرنسيس هي فرنسيس نفسه. لذلك سأكتفي بأن أرسم لكم صورته، بأكبر قدر ممكن من الأمانة: وأي تعليق سيكون إضافيًا ولا حاجة له. [...]

العاشق للمسيح

هكذا، خطوة بخطوة، واختبارًا تلو الآخر، استطاع المسيح أن يأسر قلب ابن التاجر الأسيزي الغني، ليصبح ذلك العاشق الشغوف بالمسيح الذي نحن بصدد اكتشافه. إنني لا أتحدّث هنا عن مجرد شعور بالحبّ، بل عن شغفٍ حقيقيٍّ بمعنى الكلمة؛ شغفٍ يجرّد كلّ قوى الكائن البشريّ. لا يمكن فهم حياة فرنسيس الأسيزي إلّا في ضوء هذا الحبّ الشغوف لابن الله. وأوضّح هنا: لابن الله الأزليّ الذي صار إنسانًا. ولهذا السبب، فهو يحبّ حبًّا لا يُوصَف تلك التي أعطت للبشرِ إلهاً ذا جلالٍ ليكون أحمًا لهم. ولهذا أيضًا كانت ليلة الميلاد عيده المفضّل. فقد قال يومًا: "لو التقيتُ بالإمبراطور، لطلبتُ منه أن يدعو جميع رعاياه لنثر الحبوب على الطرقات ليلة الميلاد، لكي تتغذى إخوتنا الطيور، ولا سيّما أخواتنا العزيزات القُبرّات." ستتجلّى حياته وفق منطق صارم، ليس منطق العقل بل منطق القلب، منطق الحبّ المجنون. وسنشاهدُ هذا الحبّ يدفعه مرارًا وتكرارًا وبصورةٍ لا تُقاوم إلى البحث عن معرفةٍ أكثر كمالًا لمعلّمه، وإلى الاقتداء به دون مواردٍ أو غشٍّ، وأخيرًا إلى العمل بأن يجعله معروفًا لدى الجميع.

فمنذ اليوم الذي خاطبه فيه مسيحُ القديس داميان، تملّك فرنسيس حاجةً عارمة لا تُقاوم لمعرفةٍ من يحبّ. ونستطيع بسهولة أن ننسب إليه كلمات القديس بولس إلى أهل فيلبّي: « بل إنّني أحسبُ كلّ شيءٍ خسرانًا بالقياس إلى المعرفةِ الفائقةِ للمسيح يسوع ربّي. فمن أجله خسرْتُ كلّ شيءٍ، وأحسبُ كلّ شيءٍ نُفايةً كي أربحَ المسيح... وإنّي لأسعى لعلّي أستحوذ عليه، إذ إنّ المسيح يسوع قد استحوذ عليّ. »

أين سيبحث لمعرفة يسوع المسيح؟ إلى حيث يتجلّى يسوع المسيح: في الإنجيل، والإفخارستيا، والكنيسة، والصلاة.

فرنسيس والإنجيل

كما كُتب عنه: "إنه يبحث في الإنجيل عن الحضور الحقيقي، والحَي، والآي للمسيح؛ إنه ظهور متواصل يترأى له، ويتجلى امامه." وبافتراض أنه كان يعرف قول القديس أوغسطينوس، فلا بد أنه كان يحب كلماته: "الإنجيل هو فم يسوع المسيح نفسه." وإذ يدفعه احتياج لا يُقاوم للدخول في مقاصد من يحب، فإنه لا يستطيع أن يمر عليه يوم واحد دون أن يصغي إلى يسوع المسيح في الإنجيل. وعندما لا يستطيع الذهاب إلى القديس كان يقرأ على الأقل إنجيل اليوم. وحتى في ساعته الأخيرة طلب أن يُقرأ عليه إنجيل القديس يوحنا. ولكن، لنلاحظ أنه بخلاف الكثير من المسيحيين الذين يبحثون في الإنجيل عما يتماشى مع أهوائهم، فإن فرنسيس لم يكن يُجري أي انتقاء في كلام الله، بل كان يرمي إلى ممارسته وتطبيق كل كلمة منه. وكما كتب أول مؤرخ لسيرته، لم يكن يستمع إلى كلمات المسيح كأصم، بل كان يحفظ عن ظهر قلب كل ما قاله ربنا.

فرنسيس والإفخارستيا

إذا كان فرنسيس، لأنه يحب، يتوق إلى معرفة المحبوب، فذلك ليبلغ إلى الاتحاد به. ولذلك فهو جائع لهذه الإفخارستيا التي بها يندمج المحب والمحبوب. في الإنجيل المسيح يتجلى، وفي الإفخارستيا هو يهب ذاته. ولكن ينبغي لنا أن نتخلى عن محاولة وصف شدة حب فرنسيس وهو يتناول إلهه؛ فلا يمكن لأحد أن يقتحم عنوة العلاقة الحميمة بين كائنين يتبادلان الحب. فلنلاحظ مع ذلك سمة دالة على الإجلال الذي كان يحمله فرنسيس للقربان المقدس: هذا الرجل الذي كان يختار دائماً الأشياء الأكثر فقراً، كان يستثني من ذلك كل ما يتعلق بالقربان المقدس، إذ كان يقول: "أرغب أن تحفظ الأشكال المقدسة في أوانٍ ثمينة." وهذا الحب عينه للإفخارستيا هو ما يفسر تقديره الذي لا يتزعزع للكهنة، بغض النظر عن كرامة أو عدم كرامة أولئك الذين يحملونه. ففي أحد الأيام، سأله أحد مدعي إصلاح الكنيسة كيف يمكنه، هو فرنسيس، المشاركة في قداسات يحتفل بها كهنة سيمونيون (متاجرون بالمقدسات) وفاسدون، فأجاب: "إن كانت يدا هذا الكاهن كما تقولون فأنا لا أعلم، ولكن حتى لو كانت كذلك، فإنهما لا تستطيعان أن تبطلا فضيلة الأسرار. بهاتين اليدين يسكب الله على شعبه غزارة من النعم؛ فأنا أقبلها إكراماً للخيرات التي توزعها ولمن هي أداة له." حقاً إن نظرة الإيمان لدى فرنسيس تجعله يميز غير المنظور، والسر من وراء المظاهر، والكرامة

المذهلة للكهنة. فهل ما زلنا قادرين على فهم ذلك، في هذه الأزمنة التي يتعرّض فيها الكهنوت للازدراء كما في أحلك الفترات من تاريخ الكنيسة؟

فرنسيس والكنيسة

يعلم فرنسيس جيّدًا أنّ المسيح قد أودع حفظ وتقديم هذا الإنجيل وهذه الإفخارستيا، اللّذين يجوع حبّه إليهما، إلى الكنيسة الرومانيّة وحدها. ولهذا السبب أحبّ طوال حياته هذه الكنيسة بنفس الحبّ الشغوف الذي يحمله للمسيح. ولعلّ العصور الوسطى شهدت رجالًا تألّموا، مثل فرنسيس، لما كانوا يرونه من أوجه الخلل داخل الكنيسة، وكانوا شديديّ الحساسيّة تجاه التطلّعات الروحيّة لدى عامّة الناس. غير أنّهم، سعيًا إلى معالجة هذه الاختلالات والاستجابة لتلك التطلّعات، انفصلوا عن الكنيسة، متذرّعين بذريعة زائفة هي الوفاء للمسيح. أمّا فرنسيس، فلم يُقدم على أيّ مبادرة إلّا داخل الكنيسة وفي كنفها، خاضعًا بتواضع للذين أقامهم الربّ لقيادة شعبه. كان يعلم جيّدًا أنّه لكي يعانق معلّمه الحبيب عليه أن يعانق الكنيسة.

إنّ الشواهد على مظاهر حبّه للكنيسة كثيرة بحيث يحترق المرء في اختيارها. فعندما كان ينشب نزاع، كان ردّ فعله الأوّل هو اللجوء إلى أسقفه. وهكذا عندما عارضه أبوه في دعوته، طلب تحكيم الأسقف "غي" "لأنّه، كما قال، هو أب وسيد النفوس". صدر الحكم في الساحة العامّة لمدينة أسيزي؛ إذ قال له الأسقف: "رُدّ إذاً إلى أبيك هذه الأموال التي أخذتها منه." ولم تكن تلك مشكلة لفرنسيس، فدخل إلى القصر الأسقفيّ وخلع ملابسه، ثم عاد عاريًا ليردّ لأبيه المال والثياب. عندها تأثّر الأسقف — ولم يكن يطلب منه كلّ هذا! — فلفّ فرنسيس بطيّات معطفه في لفّة تتّسم باللياقة والعطف.

وكان أيضًا يلجأ إلى الأسقف عندما كان أهل أسيزي يلومونه ظلماً هو وتلاميذه الأوائل على لجوئهم إلى التسوّل بدل العمل بأيديهم.

وبعد عدّة سنوات، ودائمًا بنفس روح الخضوع للكنيسة، طلب فرنسيس من البابا أن يعيّن من بين معاونيه المقرّبين راعيًا لرهبنته. كان يعلم جيّدًا حجم المخاطرة التي يُقدّم عليها: فهل سيكون هذا الراعي متفهمًا؟ لكن فرنسيس كان يثق بالله. ويبلغ خضوعه للكنيسة ذروته لاحقًا، حين قبل، بعد عامين من

العذاب أمضاهما في الدفاع المستميت عن القوانين التي وضعها، وهو على يقين بأن المسيح نفسه قد أوحى بها إليه، أن تُنقَّح وفقًا لتوجيهات الأب الأقدس.

يرتجف المرء عند التفكير أنّه، أمام حالة عدم التفهّم التي واجهها لدى كبار رجال الدين، كان بإمكان فرنسيس أن يحذو حذو "بيار فالدو" وكثيرين غيره، فيؤسّس كنيسةً داخل الكنيسة — والتي سرعان ما كانت ستحوّل إلى كنيسةٍ خارج الكنيسة. لكن هذا الميل غير موجود إطلاقًا لدى فرنسيس؛ فبالنسبة إليه، الكنيسة والمسيح كائن واحد لا يتجزأ، إلّا أنّ يعلم الله أنّه لم يكن من السهل دائمًا، في بداية القرن الثالث عشر، التعرّف على وجه يسوع المسيح في وجه الكنيسة.

لقد عرّفتمكم فرنسيس المتعطّش ليسوع المسيح، يبحث عنه في الإنجيل، والإفخارستيا، والكنيسة. ولكن مثل أيّ عاشق، كان يحتاج إلى الخلوة والانفراد بالحبيب. ولهذا السبب، فهو ينتمي إلى سلالة أولئك الرجال التواقين إلى العودة إلى القفر والبريّة، ليصلّوا هناك طويلاً وببطولة، ليلاً ونهارًا.

فرنسيس والصلاة

طوال حياته، وحتى وهو منهك القوى، كان يكرّس ساعات لا تنتهي للصلاة. لدرجة أنّه قيل عنه: لم يكن رجلًا يُصلّي بقدر ما كان "الصلاة متجسّدة". وكان تلاميذه يبتكرون حيلاً أشبه بحيل الهنود الحمر (السيوكس) ليتبعوه دون علمه إلى الخلوات، ويتأمّلوا وجهه الفاض بالدموع والفرح، ويستشفّوا سرّ صلاته. وفي هذه الصلاة كان للتسبيح مكانة كبيرة. والحقيقة أنّ حياته كلّها كانت نشيد تسبيح لمحبّة من يسمّيه "العليّ، القادر على كل شيء، الربّ الصالح" - وهو النداء الذي يبدأ به "نشيد الأخت الشمس" الشهير، ولا أستطيع إلّا أن أقرأ عليكم بعض مقاطعه:

لك المديح والمجد والإكرام وكلّ بركة.

لا يستحقّها إلّا أنت أيها العليّ،

ولا إنسان يستحقّ أن ينطق باسمك.

مبارك أنت يا ربّ في كل مخلوقاتك،

وبصورة خاصّة بأختنا، السيّدة، الشمس،

التي تهبنا النهار، وبها تُنيرنا.

إنّها جميلة، تشعّ ببهاء عظيم،
هي رمزك أيها العليّ...
مبارك أنت يا ربّ بأخينا الماء،
الذي هو ضروريّ جدّاً، متواضع، ثمين و طاهر.
مبارك أنت يا ربّ بأختنا النار،
التي بها تُنير لنا الليل،
وهي جميلة، مرحة، شجاعة وقويّة.
سبّحوا وباركوا الربّ، اشكروه
واخدموه بكل تواضع.

يجب عليّ الآن أن أفتح فصلاً جديداً من حياة فرنسيس. بعد أن رأينا كيف دفعه حبّه بلا مقاومة للبحث عن معرفة المسيح، أدعوكم الآن لننظر إليه وهو، بدافع الحبّ نفسه، يسعى للاقتداء بيسوع المسيح. ولكن هل هو حقاً فصلٌ جديدٌ؟ بالنسبة لفرنسيس، الاقتداء بيسوع المسيح هو دائماً وأبداً سعيّ لمعرفته بشكل أفضل. عليه أن يقتدي به ليفهم، ولكي يزداد فهماً ليسوع المسيح، فهماً يكون شركةً حيّة معه. فرنسيس يصرخ فينا: أنتم تظنّون أنّكم تفهمون المسيح لأنّ لديكم أفكاراً عنه، ولكن ما دمتم لا تعيشون ما عاشه، وكما عاشه، فإنتم تبقون جاهلين له!

وهكذا يندفع فرنسيس بكلّ جوارحه للاقتداء بيسوع المسيح، متلهّفاً لأن يطبع روحه وجسده بملامحه، وأن يطابق حياته بحياة سيّده. وسنرى تباغاً متجلّياً في حياة فرنسيس: المسيح الفقير، والمسيح الأخ لكلّ خليفة، والمسيح صانع السلام، والمسيح المصلوب.

فقير

لماذا أحبّ فرنسيس الفقر إلى هذا الحدّ؟ لا شك ان هذا السؤال كان سيُخرجه. قلبه لم يكن يبحث أولاً عن أسباب. هل لأنّ المسيح أوصى به؟ أغلب الظنّ أنه أحبّ الفقر لأنّ المسيح أحبّه، لا أكثر. لكن لا مانع من أن نحاول البحث عن السبب الذي جعل المسيح وفرنسيس يعشقان الفقر؛ فلعلّ ذلك مردّه إلى أن

الفقر يعني التبعية، وبالنسبة لكائن يُحب، إن الاعتماد على الحبيب وانتظار كل شيء منه والامتنان له بكل شيء، هو من متطلبات الحب.

ولكن دعونا لا نُطيل الوقوف عند التفسيرات، ولننظر إلى فرنسيس، ذلك الشاعر الجوّال. إن الفقر هو سيّدُه. كان يمضي وهو ينشد على الطرقات الكبيرة وفي ساحات المدن "ذلك الذي كان، يقول، الرفيق الذي لا ينفصل عن ابن الله العليّ، والذي منذ اثني عشر قرناً وهو تائه مهجور." وكان يتكلم عنه ببراعة لدرجة أنّه نجح في بضع سنوات أن يجمع حوله آلاف الرفاق ليكرّموه ويخدموه ويقدّروه. كلّ التسويات والمساومات التي ارتضاها العديد من رجال الدين في عصره، كان يرفضها هو بسخطٍ وازدراء، ولم يساوم قط. أتريدون مثلاً من أمثلة لا تحصى على صلابته هذه؟ طلب أحد تلاميذه إذناً لامتلاك كتاب المزامير. "حين يكون عندك كتاب المزامير، أجاب فرنسيس، ستريد كتاب صلوات؛ وحين يكون عندك كتاب صلوات، ولن ترضى أن تُتعب نفسك بعد، ستقول لأخيك بتعال: اذهب وأحضر لي كتاب صلواتي من فضلك!" ثم أخذ حفنة رماد وبدأ يفرك له رأسه بها: "خذ، هذا ما يناسبك، هذا هو نوع كتاب الصلوات الذي تحتاجه."

بما أنّ إخوته فقراء، كان عليهم أن يعملوا ليعيشوا. وإذا لم يجدوا عملاً، فعندئذٍ — وعندئذٍ فقط — يتسوّلون كما تسوّل هو نفسه في شوارع أسيزي. لنستمع إلى هذه الصفحة القاسية التي يكشف فيها عن عمق فكره: "على الإخوة، كما كتب في قانون 1221، أن يفرحوا بوجودهم بين عامّة الناس والمزدرين، والفقراء والعاجزين، والمرضى والبرص، ومتسوّلي الطرقات الكبيرة. وعندما تدعو الحاجة، فليذهبوا لطلب الصدقة، وعليهم عدم الشعور بالخزي من ذلك، بل ليتذكّروا بالأحرى أن ربّنا، ابن الله الحيّ والقدير [...] كان فقيراً وغريباً [...]؛ وإذا ألحق الناس بهم الإهانات ورَفَضُوا إعطاءهم الصدقة، فليشكروا الله على ذلك، لأنّهم بهذه الإهانات سينالون أمجاداً عظيمة أمام عرش ربّنا." في نظر فرنسيس، الخبز المُتسوّل هو مثل الخبز المبارك. وذات يوم دخل إلى قصر الكاردينال هوغولين وقت الغداء، فأخرج من كُمّه كِسَرَ الخبز الأسود التي كان قد تسوّلها للتوّ وقَدّمها للحاضرين. ويمكننا أن نتخيّل إحراج الأسقف: كانت مأدبةً رسميةً بحضور غرباء يستضيفهم للمرة الأولى...

إنّ الفقر عند فرنسيس لا يقتصر على التخلّي عن القيم الماديّة فقط، بل هو أيضاً تخلّي عن القيم الفكرية، وعن العلم النظريّ. بالتأكيد، هو لا يحتقر العلم المقدّس، ولكن لأتباعه، يطمح بطريق خلاص

أكثر مطابقة لدعوتهم. وهو يرى في الحقيقة أن كل معرفة تأتي بعد "علم الصليب". وبصرامة لا ترأف، أمر بهدم دير الدراسة الذي بناه الإخوة في بولونيا أثناء غيابه. ورغم أنه أجبر لاحقًا على القبول بتلقي تلاميذه تكوينًا فكريًا. لكن التحذير قُدِّم بقوة: القيم الفكرية، شأنها شأن القيم المادية، يمكن أن تُضلّ النفوس متى ما أصبحت غاية يُسعى إليها لذاتها.

الزهد ذاته مفروضٌ على الإخوة تجاه هذا الخير الثمين جدًا: العلاقات والنصائح. وكذلك التخلي عن الألقاب والتكريمات، وعن كل منصب رفيع في الكنيسة؛ فهم مدعوون لأن يكونوا أهلًا لاسم "الإخوة الأصاغر" الذي يحدّد هويتهم. بل إنّ فرنسيس، في حُبِّه الشديد والمتعنت للفقر، يمضي إلى حدّ مطالبتهم بالفرح والابتهاج عندما يُحرمون من تقدير الآخرين.

أخوي

لأنّ فرنسيس فقير، ولأنّه تخلى عن كل شيء، فكلّ خيرات الله هي له. وهكذا يظهر لنا سمة ثانية من سمات شبهه بيسوع المسيح. "لم يستطع أيُّ شخصٍ في الغرب أن يكتب، أو أن يشعر أو أن يعبر مثله، عن هذا الشعور بالأخوة الشاملة لكلّ الأشياء المخلوقة." إنّه يجد في المخلوقات آثار الحنان والجمال الإلهيين، فيدنو منها ويتعامل معها بلطفٍ ولباقةٍ بالغة — وهي الخصلة والسلوك المحبّبان إلى قلبه؛ إذ يقول: «إنّ اللباقة هي إحدى أجمل صفات الله.» لقد أعاد الصوت إلى الأصوات الأخوية للخلقة التي ظلّت صامتة لزمان طويل، وتلك إحدى الأبعاد الرئيسية في روحانيّته. وكأيّ مسيحيّ، يعيش فرنسيس في شركة القديسين، ولكنه يعيش أيضًا — وهو الأمر الأقل شيوعًا — في الشركة الكونية الكبرى. لكن لا يُساء الفهم: هذه الشركة ليست حسية مثل شركة جيونو Giono وهي مختلفة تمامًا عن شركة البوذي الحقيقيّ مهما كانت مدهشة: هي مسيحية. ففرنسيس، المتّحد بالمسيح، هو في المسيح وبالمسيح، كأنّه في علاقة حميمة مع كل المخلوقات. الحيوانات تعرفه، تحتفل به فتجتمع على طريقه. حينها يكرز لها: «يا إخوتي الصغار الطيور، إنّ الروابط التي تجمعنا بالله كثيرة. وواجبكم هو أن تسبحوه في كلّ مكان وزمان، لأجل الحرية التي وهبكم إيّاها لتطيروا أينما شئتم...». ولما تكون الحيوانات شريرة معه؟ ليس لها ما تخافه منه. حتّى إنّ الذئب المفترس الذي كان يثير رعب أهالي "غوبيو Gubbio" انقضّ عليه يومًا وفمه مفتوح. فأوقفه فرنسيس بإشارة الصليب قائلاً: «أيها الأخ الذئب، لقد أُلْمِني أن أعلم بالجرائم المروّعة التي ارتكبتها في هذه المنطقة...

ومع ذلك أريد أن أصالحك مع أهل "غوبيو Gubbio"، بحيث لا يعود لديهم ما يخشونه منك، ولا يعود لديك ما تخافه من كلابهم ومنهم أيضًا.»

قد يحدث وإن كان ذلك نادرًا أن لا تتروّض الوحوش البشريّة بسهولة أمام حبّه. ففي يومٍ كان فرنسيس يملأ الغابات بغنائه، أقبلت عليه جماعةٌ من اللصوص وقطّاع الطرق: فسألوه «من أنت؟»، فأجابهم فرنسيس بكلّ ثقة: «أنا منادي الملك العظيم». فما كان من اللصوص إلّا أن انهالوا عليه ضربًا مبرحًا وألقوه في الثلج في قاعٍ وادٍ... ولم يتمكن من الخروج منه إلّا بجهدٍ جهيد، وما إن ابتعد هؤلاء الأوغاد حتّى استأنف طريقه وهو يشدو بالغناء بصوتٍ أعلى وأجمل.

لم يكن فرنسيس ليقبل أن يُسيء إخوته معاملة قطّاع الطرق؛ إذ قال لحارس أحد الأديرة المتحمس الذي طرد اللصوص: «لقد تصرفت كشخصٍ غير تقيٍّ، عليك الآن أن تركض عبر الجبال والوديان حتّى تعثر عليهم، وما إن تلمحهم حتّى تصيح بهم: تعالوا أيّها الإخوة اللصوص، تعالوا لتتناولوا الأطعمة الطيبة التي يرجوكم الأخ فرنسيس أن تقبلوها». وبالفعل، أتوا -والأعجب من ذلك- أنّهم اهتدوا وانضمّوا إلى العائلة الفرنسيّة. ومن بين سائر المخلوقات، كان البرص أحبّ الناس إليه، أولئك الذين لم يصل إلى حبّهم إلّا بفضل عملٍ بطوليّ. فكان كلّما وجد وقت فراغ، ذهب ليعيش وسطهم. لكن ربما أخطأت عندما قلت إنّ البرص هم المفضّلون عنده: فوق كلّ الكائنات، كان يحبّ الإخوة في رهبانيّته. وكان هؤلاء يعتبرونه "أمًّا متناهية الحنان": «mater carissima»، كما يقول "سيلانو"، أوّل مؤرّخي سيرته. وكيف لا نذكر الصداقة الرائعة التي جمعته بتلك الفتاة المنحدرة من عائلة نبيلة في أسيزي، والتي أصبحت بتوجيهه القديسة كلارا، وكذلك تعلّقه باللّواتي التّقيّين حول كلارا! ومع ذلك، كانت لديه كلماتٌ قاسية عن النساء، وتُفسّر بحبّته لإخوته التي كان يحرص كلّ الحرص على حماية دعوتهم؛ إذ أمرهم بـ «تجنّب السمّ العذب تمامًا، وهو محادثة النساء...»، وأضاف: «أن تصون نفسك من الشرّ وأنت تخالط النساء أصعب من أن تمشي في النار دون أن تحرق قدميك.» ومع ذلك، في ساعة احتضاره، أرسل إلى صديقه العظيمة — التي كان يسمّيها على نحوٍ غريب «الأخ جاكين» — ليُعلّمها بأنّه على وشك الموت، وبأنّه ينتظرها ويرجوها أن تحضر معها إحدى الكعكات اللذيذة باللوز التي كانت تُجيد تحضيرها.

صانع السلام

لأنّه كان أخًا للمخلوقات، استطاع فرنسيس على مثال المسيح أن يمارس هذه الخدمة الخاصّة بالنفوس الأخويّة: وهي المصالحة. وهذه الخدمة تقوم تحديدًا على أن يجعل كلّ الكائنات تعتبر بعضها بعضًا إخوة وتحبّ بعضها بعضًا. مصالحة غريبة جدًّا ومليئة بالرموز تلك التي أجراها، كما رأينا، بين الذئب وأهالي "غوبيو Gubbio". بيد أنّ خدمة المصالحة عنده حقّقت انتصارات أصعب من ذلك: مصالحة أسقف أسيزي وعمدة المدينة، ومصالحة أنصارهما الذين كانوا يتصارعون بعنف. وفي النهاية، لم يستطع الطرفان مقاومة فرنسيس، فأعلنّا السلام علنًا. وفي مناسبة أخرى، وبفضل فرنسيس دائمًا، تخلّى النبلاء والبورجوازيون في المدينة عن عداواتهم القاتلة واعتمدوا "ميثاقًا بلديًا". ولكن لا نُخطئ: هذه الخدمة في المصالحة هي أعمق بكثير من مجرد رغبةٍ لقلبٍ رقيق لا يطيق رؤية الخصام، بل هي عند فرنسيس مسألة تمسّ كرامة الآب السماويّ نفسه، والذي يُنتهك حين يتخاصم أبناؤه فيما بينهم بعنف.

محبة الصليب

مما لا شكّ فيه أنّ فرنسيس يظهر لنا أشدّ شَبَهًا بمعلمه في محبّته للصليب. فحتّى لو لم يعلن المسيح صراحةً: «من أراد أن يكون لي تلميذًا، فليحمل صليبه كلّ يوم»، لكان فرنسيس أدرك ذلك؛ إذ بدون الصليب لوجد نفسه منفصلًا عن المسيح، لأنّ الصليب لا ينفصل عن المسيح. يحبه لأنّ المسيح أحبه. والمسيح أحبه لأنّه كان الوسيلة لإعلان محبّته، محبة أقوى من الألم والموت. إنّ الصليب هو إماتة هذه الغريزة الحيويّة العنيدة، التي يصعب استئصالها: البحث عن الذات. ويدرك فرنسيس جيّدًا أنّه ما لم تُستأصل هذه الغريزة، يظل المرء -إلى حدٍّ ما- منفصلًا عمّن يدّعي حبه. وما أشدّ حرارة تقبيله للصليب، حرارة لم يُقبَل بها رجلٌ امرأةً قط! فالحبّ هو دائمًا ما يفسّر كل شيء بالنسبة إليه.

لكن من المهم أن نلاحظ أنّ محبة الصليب هذه عند فرنسيس ليست بحثًا عن بطولة: ألا يمكن أن يكون هذا أيضًا بحثًا عن الذات حتى في إماتة الذات؟ ولا شك أنّه كان هناك شيءٌ من هذا في أفعال الإماتة والتقشّف التي فرضها بعض تلاميذه على أنفسهم. ولهذا السبب، وأثناء تجمّع كبير، أمر فرنسيس كلّ من يرتدي مسحًا (قميصًا من شعر) أو زنارًا من حديد أن يخلعه في الحال، فتشكّلت كومة مُبهرة! ولعلّ بين مستمعاتي من تودّ أن تسأل فرنسيس: «وماذا لو كان مسحي هو زوجي؟» تلك مسألة أخرى!

مثل المسيح تمامًا، لم يكن فرنسيس يبحث عن الألم من أجل الألم؛ ولكن عندما كان الألم يفرض نفسه، كان يحبّه. فهو لم يكن يعيش في حالة من الفقر المدقع، ولا يخرج للاستجداء وسط سخرية صبيّة "أسّيزي"، ولا يعتني بالبُرس، بهدف المعاناة في حدّ ذاتها؛ بل يفعل ذلك — كما رأينا — رغبةً في التشبّه بمعلّمه. ومع ذلك، من الصحيح أنّه كان يحمل في داخله رجاءً سرّيّاً: أن يموت شهيداً مثل يسوع المسيح، ومن أجل يسوع المسيح. لأنّه كان يعلم - أو بالأحرى كان يختبر في قلبه، مثل معلّمه - أنّه "ما من حُبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه لأجل أحبّائه". ولذلك قرّر أن يذهب إلى مصر، وإذا لم يلقَ حتفه هناك، فبالأكيد لم يكن ذلك لتقصيرٍ منه في السعي لذلك! فقد نصب له السلطان فخاً نجح فرنسيس في الإفلات منه ببراعة وخفّة ظلّ؛ إذ أمر بفرش سجّادة مرصّعة بالصلبان قبل وصول فرنسيس، وهو يفكر في نفسه: "إذا داس عليها سأتهمّه بإهانة إلهه. وإذا رفض أن يتقدّم نحوي سأتهمّه بإهانتني". فتقدّم فرنسيس دون تردّد وقال للسلطان: "كان عليك أن تعلم أنّه كانت هناك عدّة صلبان على الجلجثة: صليب المسيح - وهذا صليبنا - وصليبا اللّصّين، وهذين الأخيرين لا أجد أي حرج في أن أدوسهما بقدمي".

ولنعترف في ختام هذا الفصل أنّه، على خلاف ما قد توجي به صورة نمطيّة سطحيّة، كانت المعاناة الرفيقة التي لا تفارق فرنسيس: المرض الذي لاحقه طوال حياته وتسبّب في موته المبكر (على الأرجح السلّ)، والإغراءات العنيفة التي هاجمته في فترات حاسمة من حياته، ووقوعه في الأسر، وفقدانه البصر في سنواته الأخيرة، وأكثر من كلّ هذه التجارب قسوة، الاعتراضات العدوانيّة التي لم يوفّر منها بعض إخوة رهبانيّته.

الأكثر بهجّة

لنُسرّع فنضيف أنّ القديس الأكثر تألّماً كان أيضًا الأكثر فرحًا على الإطلاق، ليس رغم الألم بل بفضلله. إنّه يجهل الكآبة والقلق. لا مكان لهما في قلبه. وهما عادةً يولدان من الخوف. فِمَمّ يخاف إذن؟ يخاف من الله؟ لكنّه يعلم أنّه محبوب منه. يخاف من الناس؟ لا شيء لهم ليأخذوه منه لأنّه لا يملك شيئاً. يخاف على سمعته؟ لا يعبأ بها. يخاف على حياته؟ إنه يتوق إلى بذلها. يخاف من الألم؟ لكنّه يحبّه. يخاف من الإذلال؟ ولكن لا أحد يستطيع أن يذلّه ما دام هو يذلّ نفسه. متحرّراً من الخوف، صار فرنسيس إنساناً

حُرًّا. قد مرَّق الألم جسده وقلبه، أما نفسه العميقة فتبقى في عيد - عيد حُبٍّ سعيد لأنَّه وجد فرصة ليثبت نفسه. وهكذا كان "منادي الملك العظيم" يملأ الغابات والحقول بأناشيده.

إنَّ حياة القديس فرنسيس هي ردّ رائع على الذين زعموا، في برنامج تلفزيوني فرنسي حديث، أنَّ المسيحي لا بدَّ أن يكون لديه قلقًا مزمنًا! "ليكن فرحي فيكم وليكن فرحكم كاملاً" - هذه وصية يسوع المسيح قد تحققت في فرنسيس؛ إذ كان يقول: "إنَّ الفرح الروحي ضروري للنفس تمامًا كما أن الدم ضروري للجسد." وحين كان فرنسيس يلفظ أنفاسه الأخيرة، علّق الرئيس العام للرهبانية -حرصًا منه على سمعة القديس- قائلاً: "يا أبانا الحبيب، إنِّي أبتهج لرؤيتك مفعماً بالفرح؛ ولكن في هذه المدينة التي تنظر إليك كقديس، أخشى أن يُصدم الناس حين يرونك لا تستعدّ للموت بطريقة مختلفة". فأجابه فرنسيس: "دعني وشأني يا أخي، فبرغم ما أعانيه، أشعر بقرب شديد من الله لدرجة أنني لا أستطيع إلَّا أن أنشد". لقد عاش فرنسيس في الفرح، وبموته المفعم بالفرح، بلغ إلى الفرح اللانهائي.

الإندفاع التبشيري

آسف لأنِّي لا أملك الوقت لأفصل فصلًا محوريًا من حياة القديس فرنسيس الأسيزي: ألا وهو اندفاعه التبشيري. إنَّ حبّه للمسيح يحثّه ويدفعه إلى جعل الجميع يعجبون بالذي أحبه واستمال قلبه، ويحبّونه ويتبعونه. والواقع أنَّه كان يقدّم مباشرة لكلّ من يلقاه شخص المسيح الحيّ. وما أعجب أن نعلم أنَّه في عام 1217، أي بعد أحد عشر عامًا فقط من اهتدائه، احتشد خمسة آلاف أخٍ ملتحقين بالرهبانية فيما سُمّي بـ «رتبة الحُصر»! لكن لم يكن يكفيه أن يجمع أعدادًا غفيرة من الرجال في العائلة الروحية التي أسّسها؛ بل أراد للرجال والنساء المتزوجين وفي حياة العالم أن ينضمّوا إلى هذا المثال الأعلى الذي كُلف بإعلانه: وحينئذٍ أسّس «الرهبانية الثالثة» التي ضمت في صفوفها فلاحين أمّيين إلى جانب ملوك (القديس لويس ملك فرنسا، والقديس فرديناند ملك قشتالة)، وأميرات (القديسة إيزابيت)، وباباوات، ومشاهير أمثال دانتي، وبترايك، ومايكل أنجلو، وكريستوفر كولومبوس، وكثير غيرهم. إنَّ هذا الحبّ للمسيح الكامن فيه، والمتشوّق للتمدّد والانتشار، هو ما دفعه لإرسال أوائل الفرنسييسكان عبر العالم: فأرسلهم إلى فرنسا، وإسبانيا، والمجر، وإنجلترا، وإلى كافّة أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدّسة، وسرعان ما أرسلهم إلى البلدان المسماة حينها

«بلاد الكفار» (المغرب، مصر، سوريا...) حيث نال بعضهم إكليل الشهادة — وهو ما أثار الغيرة الروحية في قلب أبيهم فرنسيس.

وفي نهاية حياته اشتدّ اندفاعه التبشيريّ أكثر . وبعد أن ألّف "نشيد الأخت الشمس" رغب أن يذهب الأخ "باسيفيكو" ليغنيّه لجميع بني البشر في العالم . لم يكن يتردّد في شيء: فأملّى رسالة موجّهة إلى "حكّام الشعوب والقناصل والقضاة والولاة في جميع البلدان"، يرجوهم فيها "تعيين منادٍ عام، تكون مهمّته في كلّ مساء دعوة الشعب إلى تسبيح الربّ وشكره": لا شك أنّه كان متأثّرًا بنداء المؤدّن في بلاد الإسلام.

عليّ أن أكتفي بهذا القدر - فهناك أشياء أخرى كثيرة كان يمكن أن تقال عن هذا الحبّ المتنامي باستمرار! إنّ بعض معاصرينا، الحاقدين، يتّهمون فرنسيس بأنّه ينسى واقع الأرض، ويعيبون على مثل هذه الروحانيّة أنّها تشجّع على الهروب من الواقع. وهذا النقد يطال اليوم كلّ من يضع همّ التبشير في المقام الأوّل. ألم يقل المسيح: "اطلبوا ملكوت الله أوّلًا، وكلّ هذا يُزاد لكم؟" وبالفعل، فإنّ هذه "الزيادة" قد استفاد منها مجتمع القرن الثالث عشر بفضل فرنسيس الأسيزي. وإليكم كيف حدث ذلك: كان قانون «الرهبانيّة الثالثة» يتضمّن على وجه الخصوص حظر حمل السلاح وأداء أي نوع من أداء الأقسام واليمين الحاسم دون موافقة البابا. وكان البناء السياسيّ في العصور الوسطى يقوم برمّته على أداء اليمين؛ إذ كان المرء يؤدّي اليمين لسيّده الإقطاعيّ أو للبلديّة، ومن ثم يصبح ملزمًا بحمل السلاح وتبني نزاعاتهم، مهما كانت جائزة أو استبداديّة. ولذا، فإنّ امتلاك البابويّة لزام اليمين منحها قوّة هائلة مكّنتها من كسر مقاومة البلديّات، ومقاومة السلطة المدنيّة، وحتى الوقوف في وجه الإمبراطور نفسه. وكما يُدرّك بسهولة، كانت العواقب الاجتماعيّة لهذا الحظر على أداء اليمين لا تُحصى، بمجرد انتشار أبناء الرهبانيّة الثالثة في البلاد وخارجها. إنّها ثورة سياسيّة واجتماعيّة بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى؛ وكان صانعها القديس الأكثر ملاكيّة وشغفًا!

الموسوم بجراحات المسيح

لنتأمّل أخيرًا المرحلة السامية من حياة فرنسيس: معجزة الجراح المقدّسة. لقد عاش فرنسيس نزاعًا قاسيًا جدًّا لمُدّة سنتين، هاتين السنتين اللّتين تمّت فيهما صياغة قانون الإخوة الأصاغر. ولكن، بمجرد موافقة روما على هذه الوثيقة المحوريّة، توقّف نزاع فرنسيس. فشرع عندئذٍ بحاجة ملحة للزهد والعزلة،

فلجأ مع بعض رفاقه الأوائل إلى جبل لافيرنا، المتميّز بالجبال والوديان البريّة. كان يصليّ، يصليّ بتضرّع، ليلاً نهاراً. وذات يوم، قبيل شروق الشمس بقليل، تضرّع إلى المسيح بدموع حارقة قائلاً: "يا ربّ، أسألك نعمتين قبل أن أموت: نعمة أن أختبر في جسدي، قدر المستطاع، آلام عذاباتك القاسية، ونعمة أن أشعر نحوك بنفس الحبّ الذي دفعك لأن تبذل نفسك من أجلنا." وفي التوّ، ظهر له سارافيم (ملاك) يحمل صورة المصلوب. ركّز نظره على فرنسيس، وعندما انصرف وُجدت مطبوعة -بمعجزة- في جسد فرنسيس جراح الصلب. ولم تختف أبداً، وخلال السنتين الأخيرتين من حياته رأى العديد من الناس هذه الجراحات وشهدوا بصحّتها مقسمين على الإنجيل.

كيف يجب أن نفهم هذا الحدث الذي جعل من فرنسيس أيقونة حيّة للمصلوب؟ إنّ الجانب الخارق ليس هو الأهمّ، ومن المؤسف جدّاً أنّ كتاب سير القديسين وعامّة المسيحيّين يركّزون على المعجزة أكثر من جوهرها العميق. إنّ هبة السمات هي الذروة وخاتمة لمسارٍ بدأ قبل ثمانية عشر عاماً؛ حين ظهر المسيح المصلوب للشاب فرنسيس، فأدرك متأثراً، أنّ الحبّ — وليس الجلّادون — هو من صلب يسوع المسيح، وأخذ يحبّ "المحبّة" بجنون. ولكن لا يمكن للمرء أن يعبث بالنار دون ثمن: فالحبّ سيحرقه، وسيصلبه هو أيضاً يوماً بعد يوم. وفي 14 أيلول 1224، في عزلة جبل لافيرنا القاسية، وبعد انصراف السارافيم، كان بإمكان فرنسيس — لولا تواضعه الشديد - أن يردّد قول القديس بولس إلى أهل غلاطية (2،19): "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ". هذا هو أن تكون تلميذ المسيح، هذه هي القداسة المسيحيّة. ويسوع المسيح أراد أن يصرخ بهذا إلى القرن الثالث عشر الناشئ، في وقت كانت فيه الخيرات الماديّة والقيم الفكرية مهدّدة بأن تفتن الجماهير وخاصّة نخب المسيحيّة. أراد أن يعلنها بصوت عالٍ وبلغّة قويّة لا تقبل الجدل، قادرة على إقناع القلوب أكثر من العقول. ولهذا السبب جعل صلب فرنسيس الداخليّ يظهر جليّاً في جسده بشكل لا يدع مجالاً للشكّ. فلا يُساء الفهم: الجراح المقدّسة ليست أوسمة مصمّمة لجذب إعجاب الجماهير لشخصٍ ما؛ بل هي المسيح المصلوب يتجلّى للعالم في فرنسيس الذي صار تجسيداً للشفافيّة الخالصة. وإنيّ أستمع في التفكير بامتنان يسوع المسيح المؤثّر تجاه صديقه فرنسيس الذي أفنى ذاته ليفسح له كلّ المكان.

وأما نحن، أبناء هذا القرن العشرين الذي شارب على النهاية، في زمنٍ تتهوى فيه حضارةٌ بأكملها، فيتوجب علينا — كأهل أسيزي عام 1224 — أن نتأمل ملياً في فرنسيس، الأيقونة الحيّة ليسوع المسيح، وأن نحمل في قلوبنا رسالته: على المسيحي أن يكون مسيحاً آخر، وإن لم يكن كذلك، فهو لا شيء.

ولكن حذارٍ...

ولكن حذارٍ: ثمة وسوسة خفية تتربّص بنا. ولعلّها تسلّلت بالفعل إلى قلوبنا، موحيةً بأنّ فرنسيس شخصٌ يُعجب به المرء أكثر ممّا يقتدي به، وأنّ مثاليته ونهج حياته أمران يستحيل تحقيقهما. ألم يكن من المفترض بالرهبان الأصاغر -وفقاً لرؤيته- ألا يمتلكوا شيئاً، وأن يسكنوا أكواخاً من الأغصان والطين؟ غير أنّ ذلك لم يكن واقعياً، فكان لا بدّ من التخلّي عنه، وقد حدث ذلك منذ الجيل الثاني من التلاميذ، أي في حياة فرنسيس نفسه. ألم يكن من المفترض بهم أيضاً إهمال القيم الفكرية؟ لكن فرنسيس اضطرّ إلى التراجع عن ذلك؛ إذ كان من الضروريّ لإخوته أن تتوفّر لديهم أديرة مخصّصة للدراسة. لذا، لا يجد المرء حرجاً في الإقرار بما يُسمّى "مبالغات" فرنسيس. فبعد أن يعترينا اضطراباً عميقاً ونحن نتلقّى رسالة فرنسيس بشكل مباشر وقويّ -تخطف الأنفاس من شدّة تأثيرها- نعود لنلتقط أنفاسنا من جديد. ونغادر "أسيزي" ونحن راضون عن أنفسنا لأننا استسلمنا للحظة لتلك القشعريرة الإنجيليّة، لكننا عازمون تماماً على عدم الرضوخ لمنطق "الحسنّ السليم". أرجوكم! لا تساوموا أمام هذه الوسوسة. فليس من الأمانة في شيء أن ننتقي ما يعجبنا ونترك ما لا يعجبنا من رسالة "حامل الجراح المقدّسة" (السيغماتا)، تماماً كما أنّه ليس من الأمانة أن نفعل هذا في رسالة "المصلوب". إنّ الأمر ذاته الذي يتعدّد تحقيقه — العيش في الكهوف والتخلّي عن طلب المعرفة — يقدّم لنا درساً لا جدال فيه: فالثروات الماديّة، وتقدير الناس، والمناصب، والسلطة، والتأمّلات النظرية، كلّها عقباتٌ يستحيل تجاوزها في سبيل الاتحاد بالمسيح، إذا ما استسلم المرء ولو قليلاً لإغراء الركون إليها والتعلّق بها؛ إذ قيل: "حيث يكون كنزك، يكون قلبك". لذا، فإنّ التجرد الداخلي التام أمرٌ حتميٌّ على تلميذ المسيح، سواءً كان راهباً أو متزوّجاً. فالمحبة لا تقبل المساومة: إذ لا يمكن لأحد أن يخدم سيّدين، ولا أن يُحبّ كائنين (على قدم المساواة المطلقة). غير أنّ من اتّحد بالسيّد الواحد، يستطيع — بل يجب عليه — أن يخدم جميع الكائنات ويحبّها باسم ذلك السيّد.

هنري كافاريل

صلاة من أجل تطويب خادم الرب المكرّم هنري كافاريل



اللّهم، يا أبانا،
لقد وضعت في أعماق قلب خادمك هنري كافاريل،
توقاً الى الحبّ يربطه بلا قيدٍ أو شرطٍ بابنك،
ويُوحى إليه بأن يتكلّم عليه.

كان نبياً من أنبياء زَمِننا.
لقد أظهرَ لنا كرامةً وجمالَ دعوة كلّ إنسان مثاً،
كما قال يسوع لجميع الناس: "تعالَ واتبعني."

حَمَسَ الأزواجَ لعظمةِ سرِّ الزواج،
الذي يعني سرَّ الوحدة والحبّ المثمر بين المسيح والكنيسة.
ودلّ على أنّ الكهنة والأزواج مدعوّون الى أن يعيشوا دعوة الحبّ.
وأرشد الأرامل لأن الحبّ أقوى من الموت.
دفعه الروح القدس
إلى إرشاد العديد من المؤمنين إلى درب الصلاة.
واستولت عليه نارُ مُلتَهمة، لأنك كنت تسكنه، يا ربّ.

اللّهم، يا أبانا،
بشفاعة سيّدتنا مريم،
نسألك أن تستعجل يوم
تُعلن الكنيسة قداسة حياته،
لكي يجدَ جميعُ الناس فرحَ السّير في خطى ابنك،
كلّ واحدٍ بحسب دعوته في الروح القدس.

اللّهم، يا أبانا، نلتمس الأب كافاريل لـ...
(تحديد النعمة التي تطلب).

صلاة معتمدة من قبل صاحب السيادة أندريه الثالث والعشرين - أسقف باريس

"Nihil obstat" : 4 janvier 2006 – "Imprimatur" : 5 janvier 2006

في حالة الحصول على نِعم من خلال شفاعة الأب كافاريل،

يُرجى الاتصال بـ "Association 'Les Amis du Père Caffarel'"

49 rue de la Glacière – F 75013 PARIS

جمعية أصدقاء الأب كافاريل أعضاء الشرف

جان وأنيك ألمان، هما من القدامى الدائمين، مؤلف سيرة الأب كافاريل †
لويس † و ماري-دامونفيل، المسؤولان السابقان عن الفريق المسؤول، هما من القدامى الدائمين
إيغار † وسيدينا فيهر، المسؤولان السابقان عن الفريق المسؤول الدولي لفرق السيّد
المونسينيور فرانسوا فليشمان، المستشار الكنسي لجمعية أصدقاء الأب كافاريل †
ألفارو ومرسيدس جوميز-فيرير، المسؤولان السابقان عن الفريق المسؤول الدولي لفرق السيّد
بيير وماري-كلير هارمل، أعضاء في فرق السيّد، وزير بلجيكي سابق †
الكاردينال جان-ماري لوستيجيه، رئيس أساقفة باريس السابق †
أوديل ماي، المسؤولة العامة عن "أخويّة سيّد القيامة".
ماري-كلير مواسينييه، رئيسة الشرف لحركة: "رجاء وحياة".
بيدرو ونانسي مونكو، مؤسّسان فرق السيّد في البرازيل †
فرانسواز ولوك دجوكا، المسؤولان عن "المتشّعين"
المونسينيور إريك دي مولان-بوفور، رئيس أساقفة رايمس
جوزيه وماريا بيرتا موراس-سواريز، المسؤولان السابقان عن الفريق المسؤول الدولي لفرق السيّد
رئيس دير سيّد قانا (تروسور)
الأب برنارد أوليفييه، من رهبانيّة الدومينيكان، المستشار الروحي السابق للفريق المسؤول الدولي لفرق السيّد †
رينيه ريمون من الأكاديميّة الفرنسيّة †
جيرار وماري-كريستين دي روبرتي، المسؤولان السابقان عن الفريق المسؤول الدولي لفرق السيّد
سيلفي سيمون، رئيسة حركة "رجاء وحياة"
الأسقف غي تومازو، رئيس أساقفة مونبلييه السابق
الكاردينال أندريه الثالث والعشرين، رئيس أساقفة باريس السابق †
كارلو † وماريا-كارلا فولبيني، المسؤولان السابقان عن الفريق المسؤول لفرق السيّد
دانييل واغيه، المتعاونة التنفيذيّة والوصيّة الشرعيّة للأب كافاريل

الوكيل الرسمي للدعوى في روما :
الأب زديزلاو كيجاس، من الرهبنة الفرنسيسكانية
نائب الوكيل الرسمي في روما لدعوى تقديس الأب كافاريل :
الأب بول-دومينيك ماركوفيتس، من الرهبنة الدومينيكانية
مدير النشر :
ألبرتو بيريز-بوينو
فريق التحرير :
لويك وأرميل توسان دو كييفركور

أصدقاء الأب كافاريل
جمعية بموجب قانون 1901 تعنى بالعمل لإعلان تطويب الأب هنري كافاريل

49 RUE DE LA GLACIÈRE (7^e étage) F-75013 PARIS

هاتف: +33 1 43 31 96 21

البريد الإلكتروني: association-amis@henri-caffarel.org موقع الإنترنت: www.henri-caffarel.org

هل فكرت في تجديد عضويتك في جمعية أصدقاء الأب كافاريل؟

جميع البلدان: يمكن دفع الاشتراك عبر **Paypal**،
على موقع جمعية أصدقاء الأب كافاريل: **www.henri-caffarel.org**

استمارة الاشتراك

إسم العائلة:.....
الاسم (أسماء):.....
العنوان :.....
الرمز البريدي : المدينة :.....
البلد :.....
الهاتف :.....
البريد الإلكتروني :@.....
نشاط مهني - ديني.....

- أنا (نحن) أجدد عضويتي (نجدد عضويتنا) في جمعية "أصدقاء الأب كافاريل" لعام 2026،
- وأنا (نحن) أدفع (ندفع) الاشتراك السنوي :

- ☐ عضو مشترك: 10 يورو
- ☐ زوجان مشتركان: 15 يورو
- ☐ عضو داعم: 25 يورو وما فوق

التوقيع:

الدفع عن طريق شيك مصرفي أو البريدي باسم «Les Amis du Père Caffarel»
أو عن طريق التحويل إلى الحساب التالي:

BP RIVES DE PARIS : IBAN : FR76 1020 7003 2224 2184 4377 087 BIC : CCBPFRPPMTG

مراسلو الجمعية

المنطقة الكبرى فرنسا-لوكسمبورغ-سويسرا : Antoine et Camille RENAUD

correspondant.caffarel@equip-es-notre-dame.fr

المنطقة الكبرى أفريقيا الفرانكوفونية: Edwige et Philippe ARAWO

edwigephilippearawoaapcsraf@gmail.com

المنطقة الكبرى بلجيكا: Jean-Louis et Priscilla SIMONIS **jlpsimonis.end@gmail.com**

منطقة لبنان: Rita et Issam NASSOUR **issamnassour7@gmail.com**

أطلب منكم إرسال معلومات
وطلب إشترك للأشخاص التالية :

إسم العائلة:.....
الاسم :.....
العنوان:.....
الرمز البريدي المدينة:.....
البلد:.....
البريد الإلكتروني:.....@.....

إسم العائلة:.....
الاسم :.....
العنوان:.....
الرمز البريدي المدينة:.....
البلد:.....
البريد الإلكتروني:.....@.....

إسم العائلة:.....
الاسم :.....
العنوان:.....
الرمز البريدي المدينة:.....
البلد:.....
البريد الإلكتروني:.....@.....

